بين يدى هذا المقال

لا يخفى أن ما ينشر فى المجلة يعبر عن رأى أصحابه ولا يعبر بالضرورة عن رأى هيئة التحرير؛ وعملا بمبدأ حق الرد ننشر فى هذا المقال ردّ الدكتورة مها مظلوم على ما نشر فى العدد السابق من المجلة من نقد لرسالة حققتها ونسبتها لابن سينا، كتبه الأستاذ أحمد عبدالباسط.

وإيثارًا للموضوعية والإنصاف فقد رأينا إثبات لفظ الناقد (أ. أحمد عبدالباسط) بالهامش مقدَّمًا بعبارة: «نص كلام الناقد» حتى تتضح الحقيقة من غيرها، لا سيما وقد نفد العدد السابق الذي نشر به النقد، وبهذا الرد يغلق هذا الملف، وتثبت المجلة أنها لا تنحاز لرأى دون آخر.

رئيس التحرير

رد على مقال: العبث بالتراث: «رسالة فى الهيئة» أنموذجًا
أخلاقيات النقد العلمى وآدابه

د. مها مظلوم(*)

يتسم العلماء بالتواضع، وكلما زاد علم العالم زاد إحساسه بما يجرى فيزداد تواضعه لله سبحانه وتعالى أولا، ثم لزملائه العلماء والباحثين بل حتى لأبنائه الذين تتلمذوا على يديه ثانيًا؛ وقد ظل هذا جزءًا أساسيًا من أخلاقيات العلماء العرب والمسلمين طوال عصور طويلة، فاتخذوه منهجًا، وأساسًا لميثاق شرف البحث العلمى المُتعارف عليه حتى الآن، وإذا كان الأولى بالنسبة للباحثين فى مجال التراث - وهذا هو إرثهم - أن يتحلوا به، وإذا فتح الله سبحانه وتعالى على أحدهم بعلم ما فلا ينبغى أن يستعلى به على الآخرين، أو ليحقق مآرب أخرى تخصه.

هذه المقدمة لا بد منها لإرساء أخلاقيات النقد العلمى وآدابه المتعارف عليها لمن نسى تلك الأخلاقيات؛ وهى أيضًا ضرورية فى سياق ردي على ما جاء فى العدد (الثالث عشر) من مجلة (تراثيات) الصادر فى مارس ٢٠١١ عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية بعنوان: العبث بالتراث «رسالة فى الهيئة» .. أنموذجًا.

أما (العبث بالتراث) فيعنى أنه لا فائدة من العمل المُحقق، وكذلك كلمة (أنموذجًا) للتصغير من شأن التحقيق والقائمين به... كانت هذه هى البداية، وتبعها سيل من

(*) كبير باحثين بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، ومحققة (رسالة فى الهيئة) لـ (ابن سينا).

الألفاظ الجارحة التى خرج بها كاتب هذا النقد عن إطاره الخلقى، مثال ذلك: (قد عدم العابثون شروط الاجتهاد فى تراثنا/ العمل المحقق (رسالة فى الهيئة) عبث وتدليس وافتراء على تراث أمتنا/ قراءة هذه الرسالة عادت على كاتب النقد بالدهشة والتعجب بل بالحسرة والتندم/ محققة الرسالة على سبيل التجوز (وكررها طوال المقالة كحكم قيمى على المحققة)/ وقعت المحققة فى التحريف وما أكثر وقوعها فيه/ الإخفاق الشديد للمحققة فى التقديم للنص والتمهيد له/ مقدمة التحقيق للمحققة وما ورد بها من زلات/ أقحمت المحققة على النص ما ليس فيه، وأضافت إليه ما لم يُرده مؤلفه الحقيقى/ ذكرت المحققة أن الخبر هو الحديث الشريف وهذا وهم ما بعده وهم/ أوردت حشو هوامش التحقيق بما لا فائدة منه للقارئ وربما الوقوع فى تناقض واضح وهذا أكثر من أن يُحصى فى هذا المقام/ لم يمر على مسامعها من قبل/ امتلأت الرسالة بعدد كبير من التصحيفات والتحريفات التي ترجع غالبا إلى: عدم فهم المعنى المقصود/ كثرة التصحيفات فى النسخة الخطية المعتمدة/ عدم إلمام المحققة بقواعد العربية نحوًا وصرفًا.....).

ومن عجب أنه يختتم هذه السلسلة من عبارات الهجوم غير الموضوعى بمقولة خالدة قالها أحد شوامخ التحقيق - يقصد الأستاذ عبدالسلام هارون - فى معرض النصح والتعليم: «وختامًا يطيب لى أن أذكر مقولة خالدة قالها أحد شوامخ التحقيق: إن التحقيق نتاج خلقى لا يقوى عليه إلا من وُهب خلتين شديدتين: الأمانة والصبر وهما ما هما!!»[1].

وللمحققة التى صدر بحقها هذا التجاوز حق الرد بصورة شاملة؛ حيث تبيّن أن كاتب النقد وقعت فى يده رسالة عنوانها: «رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء» لإخوان الصفا، ووُجد بها بعض التشابه مع النص المُحقق لابن سينا «رسالة فى الهيئة»؛ ويصح أن يأخذ «إخوان الصفا» من الشيخ الرئيس «ابن سينا» لا أن يأخذ هو منهم فى رسالته؛ لأنهم مجموعة من الفلاسفة الذين حاولوا الجمع بين الدين والكون والفلسفة، واهتموا بالثقافة العلمية السائدة فى عصرهم هذا أولا. وثانيا وقع كاتب النقد فى تناقض كبير عندما اتهم المحققة بعدم الرجوع إلى المصادر والمراجع لإثبات أبسط خطوات التحقيق من نسبة المخطوط لمؤلفه «ابن سينا» ثم ذكر المصادر والمراجع التي أوردت

(١) مجلة تراثيات : العدد (الثالث عشر) الصفحات التي ورد بها النقد: (١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٥).

نسخًا من هذا المخطوط منسوبة لابن سينا، وليس لإخوان الصفا(*)؛ فذكر وجود نسخ لهذا المخطوط فى كتب : (بروكلمان: تاريخ الأدب العربى: ٤٤/٥، وتاريخ التراث العربى: فؤاد سزكين: ٢٨٠/٦ بالألمانية - على حد قوله - وكذلك أشار الأب چورچ قنواتى فى ببليوجرافية مؤلفات ابن سينا إلى هذه الرسالة (رسالة فى الهيئة) مع ثبات نسبتها لابن سينا صراحة(١).

وأضيفُ إلى ما أورده كاتب النقد مصادر ومراجع لم يعرفها، ولم يطلع عليها تثبت نسبة المخطوط لابن سينا، وهى: (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) لابن أبى أصيبعة تحقيق: الدكتور عامر النجار: ١١٤/٣(٢)، (أعلام الحضارة العربية الإسلامية) لزهير حميدان: ٣٥٤/١(٣)، هذا على سبيل المثال لا الحصر.

واعتمادا على الكتب التى ذكرها فقط - دون ما أضفته أنا من مصادر ومراجع عالمية فى التحقيق - ينتفى موضوع ومحل هذا النقد من أصله بعدم نسبة المخطوط لابن سينا ونسبته إلى إخوان الصفا.

بالإضافة إلى عدم التزام كاتب النقد لأصول التحقيق التي من بديهياتها الأمانة والالتزام بالنص الأصلى للمخطوط، وعدم إقحام ما ليس فيه فى المتن، وما عدا ذلك يرد كله فى الهامش(**)؛ وهو ينقد المحققة بأنها لم تضف نظريات العلم الحديث حول ترتيب الأفلاك فى هذه الرسالة، ولو قرأ هوامش الصفحتين (١٨، ١٩) وغيرهما لوجد وصفًا دقيقًا لكل كوكب وموقعه من الكواكب التي ذُكرت فى المخطوطة، ولغيرها من الظواهر والمصطلحات الفلكية، استنادًا إلى أحدث المصادر والمراجع المتخصصة. كما نسى أن صاحبة التحقيق حصلت على الليسانس والماچستير والدكتوراه من قسم

(*) نص كلام الناقد: «كما أنها لم تراجع تلك الببليوجرافيات التي أعدَّها علماؤنا فى حصر مؤلَّفات ابن سينا وما نُسب إليه، ومنها - على سبيل المثال - ما قام به الأستاذ يحيى مهدوى فى (فهرست مصنفات ابن سينا)؛ الذى تنبّه إلى عدم جواز نسبتها إلى ابن سينا، وإلى أنها ربما كانت مأخوذة ومحرفة من إحدى رسائل إخوان الصفا» تراثيات، ع ١٣ ص ١٢٠.

(١) المرجع السابق: ص ١٣٢.

(٢) ابن أبي أصيبعة: تحقيق: عامر النجار: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ط الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ١١٤/٣.

(٣) زهير حمدان: أعلام الحضارة العربية الإسلامية فى العلوم الأساسية والتطبيقية، ط دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٦م، ٣٥٤/١.

(**) نص كلام الناقد: « ٢ - أقحمت المحققة على النص ما ليس فيه، وأضافت إليه ما لم يرده مؤلفه الحقيقى، مثال ذلك...» «٣ - لم تقف المحققة موقف الناقد حيال تلك المعارف العلمية القديمة، والتى أثبت العلم الحديث خطأها، بل تركتها دون أن تُعَلِّق عليها... مثال ذلك:...» تراثيات، ع ١٣، ص ١٣٥، ١٣٦.

اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة، وهو يتهمها بعدم الإلمام بقواعد اللغة العربية (نحوًا وصرفًا)[١].

كما أنه لم يفطن إلى بديهيات التحقيق التي تتحكم فى ترتيب الكشافات حسب موضوع المخطوط؛ فلو كان موضوعه دينيًا مثلا يُقدَم كشاف القرآن والحديث، أما مخطوطنا فموضوعه علمى ولا بأس من تقديم كشاف على آخر حسب ما تراه المحققة من قربه من مادة المخطوط المُحقق(*)، وبعد مراجعة أستاذ أكاديمى مُتخصص درس الناقد على يديه منهجية التعامل مع التراث العلمى وخصوصيات تحقيقه.

ومن المآخذ التى أخذت على المحققة أيضًا إيرادها لكل مصطلح فى كشاف المصطلحات؛ وهذا يُحسب لها للأمانة العلمية، وكذلك لإفادة القارئ ليصل إلى المعلومة المتكاملة عن المصطلح من خلال هذه الكشافات؛ وهذا هو الهدف الأساسى من التحقيق بما يجعل النص مفهومًا لكل طبقات القراء على اختلاف مستوياتهم الفكرية والعلمية.

كذلك عاب على المحققة التعريف الموجز بمؤلف المخطوط، ولم يعرف أن الإسهاب والإطناب فى ترجمة الأعلام الذين طبَّقتْ شهرتهم الآفاق مثل الشيخ الرئيس «ابن سينا» غير مطلوبَين على النحو الذى يريده كاتب النقد مقارنة بغيرهم من العلماء المغمورين.

وختامًا كم كنت أتمنى أن يكون النقد لعملنا المتواضع نقدًا موضوعيًا ونزيهًا بالقدر الذي يتناسب مع مستوى مجلتنا الغرّاء (تراثيات) فشتان بين البحث والعبث...!!

هذا والله من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) مجلة تراثيات : ص ١٣٩.

(*) نص كلام الناقد: «أمر ثان نلاحظه فى تلك الكشافات، وهو عدم مراعاة الترتيب المنطقى فيما بينها؛ حيث بدأت بكشاف الأعلام، ثم كشاف الآيات القرآنية، ثم كشاف الحديث الشريف، وكان الأجدر بها والأولى أن تقدم كتاب الله وسنة نبيه أولا؛ لما لهما من تقديس وتوقير، لاسيما مع معرفتنا بأن الرسالة المحققة رسالة علمية قد لا يفيد فيها كشاف الأعلام أو يترتب عليه أهمية لدى القارئ، ومن ثم ينبغى تقديمه» تراثيات، ع ١٣، ص ١٤٢.